



دور عالم المثال في بيان البرزخ والمعاد الجسماني؛ مقارنة رؤية العلامة الطباطبائي مع المذاهب الكلامية (الإمامية والإسماعيلية والأشاعرة)

مهدي اسلامي نسب¹

الملخص

عالم المثال من المفاهيم الأساسية في الفلسفة الإسلامية، ويؤدي دوراً محورياً في بيان المعاد الجسماني والحياة البرزخية. وتُعد مسألة المعاد من أهم المسائل الدينية والإسلامية بعد التوحيد، وقد بُعث الأنبياء لدعوة الناس إلى الإيمان بالله والقيامة. تتناول هذه المقالة بمنهج وصفي-تحليلي وبالاعتماد على المصادر المكيية دراسة مقارنة لدور عالم المثال في بيان البرزخ والمعاد الجسماني من وجهة نظر العلامة الطباطبائي وثلاثة مذاهب كلامية مهمة (الإمامية والإسماعيلية والأشاعرة). وتُظهر نتائج البحث أن العلامة الطباطبائي، معتمداً على أسس الحكمة المتعالية، يُعرّف عالم المثال أمراً مسلماً قطعياً ووسيطاً بين عالم العقل وعالم المادة، ويعتبر البرزخ عين ذلك العالم المثالي. وفي المقابل، تتبنى المذاهب الكلامية مواقف مختلفة: فالإمامية تقبل عالم المثال بشكل غير مباشر عبر الروايات، وتؤمن بالمعاد الجسماني-الروحاني؛ والإسماعيلية بمنهجها الباطني تعتبر المعاد روحانياً صرفاً وتفسر عالم المثال تفسيراً مختلفاً؛ أما الأشاعرة فاعتماداً على القدرة الإلهية المطلقة وإعادة المعدوم، لا يرون حاجة أصلاً إلى نظرية عالم المثال لبيان المعاد الجسماني. وتبين المقالة أن قبول عالم المثال أو رفضه يؤثر تأثيراً مباشراً في كيفية بيان المعاد الجسماني والحياة البرزخية، وأن رؤية العلامة الطباطبائي، بفضل جمعها بين العقل والنقل، تقدم أشمل بيان وأكثره استدلالاً.

الكلمات المفتاحية: عالم المثال، البرزخ، المعاد الجسماني، العلامة الطباطبائي، الإمامية، الإسماعيلية، الأشاعرة.

دانشگاه مجازی المصطفی

المقدمة

لطالما رافق التفكير في المعاد والحياة بعد الموت روح الإنسان وذاته، ودعا توفيق الإنسان إلى الخلود عقله إلى التأمل فيه. ويُعدّ تاريخ البشرية خير شاهد على أصالة مسألة الحياة الآخوية المتجذرة في فطرة الإنسان. فمسألة المعاد بعد التوحيد أهم مسألة دينية، وقد بُعث الأنبياء لدعوة الناس إلى الإيمان بالله والقيامة. وتؤمن جميع الأديان السماوية بالمعاد والحياة بعد الموت، وفي الإسلام يُعدّ المعاد من الأصول المسلّمة والإيمان به ضرورياً. فالاعتقاد بالمعاد من أهم أركان الإيمان، وقد أُشير إليه في جميع الكتب السماوية.

ومع ذلك، فإن كيفية تحقق المعاد الجسماني والحياة البرزخية ظلّت دائماً من أكثر المباحث الفلسفية والكلامية تحدياً. والسؤال الأساسي هو: كيف يمكن الإيمان بالمعاد الجسماني والحياة البرزخية بعد تفتت الجسد المادي وانحلاله؟ وقد دفع هذا السؤال المفكرين المسلمين إلى تقديم نظريات مختلفة، ومن أهمها نظرية «عالم المثال». والبرزخ في اللغة هو الحاجز والفصل بين شيئين (دار المشرق، ١٩٨٦، ص ٣٣)، وفي الاصطلاح هو العالم الذي يعيش فيه الإنسان بعد الموت إلى يوم القيامة (الطباطبائي، ١٣٧٨، ص ١٣٨).

وفي هذا السياق، يوجد اتجاهان رئيسان تجاه عالم المثال ودوره في المعاد: الاتجاه الفلسفي الذي يمثله أساساً العلامة الطباطبائي وأتباع الحكمة المتعالية، والاتجاه الكلامي الذي تجلّى في مذاهب مختلفة كالإمامية والإسماعيلية والأشاعرة. وفي الفلسفة الإسلامية، يُطلق عالم المثال على العالم الذي يتوسط بين عالم العقل وعالم المادة، وتكون موجوداته غير مادية لكنها تتمتع ببعض آثار المادة كالكمية والشكل واللون (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). ويؤدي هذا العالم دوراً محورياً في بيان المعاد الجسماني والحياة البرزخية. تتناول هذه المقالة دراسة مقارنة لهذين الاتجاهين، وتستكشف دور عالم المثال في بيان البرزخ والمعاد الجسماني من وجهة نظر العلامة الطباطبائي والمذاهب الكلامية المذكورة. والهدف من هذا البحث هو الوقوف على نظريات هذين التيارين الفكريين في مسألة المعاد والإجابة عن كثير من التساؤلات المطروحة في هذا المجال.

١. عالم المثال ومكانته في الفلسفة الإسلامية

١-١. تعريف عالم المثال وماهيته

عالم المثال في الفلسفة الإسلامية هو عالم ليس مادياً صرفاً ولا مجرداً صرفاً، بل هو وسيط بينهما. ويتمتع هذا العالم بصور وأشكال مجردة من المادة العنصرية لكنها ذات كمية وشكل ولون وسائر الخصائص الظاهرة (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). وبعبارة أخرى، موجودات عالم المثال مجردة من المادة لكنها غير مجردة من الصورة. ومن وجهة نظر الفلاسفة القائلين بعالم المثال، فإن ما يرى في المنام نموذج لموجودات هذا العالم (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٥٧، ص ٣٥٤-٣٥٥).

ويقول العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: إن عالم المثال بمثابة برزخ بين العقل المجرد والموجودات المادية. فهو موجود ليس بمادة لكنه يتمتع ببعض لوازم المادة كالكمية والشكل والعرض الفعلي (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). ويظهر هذا التعريف أن عالم المثال ليس مجرد مفهوم فلسفي مجرد، بل هو عيني واقعي، ويلعب دوراً مهماً في بيان المعاد والبرزخ.

١-٢. العوالم الثلاثة في الفلسفة الإسلامية

قسّم الفلاسفة المسلمون عوالم الوجود إلى ثلاثة أقسام: عالم المادة (الطبيعة)، وعالم المثال (البرزخ)، وعالم العقل (المجردات). وقد قبل العلامة الطباطبائي هذا التقسيم في آثاره، وبنى عليه بيان مسائل المعاد. فمن وجهة نظره، يوجد بين عالم الجسم والجسمانية وعالم أسماء الله عالمان آخران: عالم العقل وعالم المثال، وكل موجود يعود بالضرورة إلى مبدأه (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤).

ويظهر هذا التقسيم أن البرزخ في نظامه الفلسفي هو عين عالم المثال، وأن الإنسان بعد الموت يدخل هذا العالم بيده المثالي. وفي الحقيقة، يُعدّ عالم المثال جسراً بين عالم المادة وعالم العقل يتيح الانتقال من نشأة إلى أخرى.

٢. عالم المثال والبرزخ من وجهة نظر العلامة الطباطبائي

١-٢. الإثبات الفلسفي لعالم المثال

من وجهة نظر العلامة الطباطبائي، وجود عالم المثال أمر مسلّم قطعي يمكن إثباته بالبراهين العقلية. وهو يرى أن العوالم من الجسمانيات إلى المبدأ الأول ومبدع الكل تختلف مراتبها من حيث الكمال والنقص، لكنها متطابقة في أصل الوجود (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). وبعبارة أخرى، سلسلة مراتب الوجود متصلة بلا فجوة، وعالم المثال هو حلقة الوصل بين عالم المادة وعالم العقل.

وُثِّبَ بالبراهين الفلسفية أن وجود عالم المثال ضروري لبيان كثير من الظواهر، منها النوم والرؤيا، والمكاشفات العرفانية، وأهم من ذلك كله المعاد والبرزخ. وبهذه المقدمات يتضح حال الإنسان في انتقاله من هذا العالم إلى عالم ما بعد الموت (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤).

٢-٢. البرزخ وعالم المثال

يقول العلامة الطباطبائي في كتاب «الشيعية في الإسلام»: وفقاً لما يُستفاد من الكتاب والسنة، يتمتع الإنسان في الفترة بين الموت والبعث العام بحياة مؤقتة محدودة هي البرزخ والوسيط بين حياة الدنيا وحياة الآخرة. فيستجوب الإنسان بعد الموت عن اعتقاداته والأعمال الحسنة والسيئة التي قام بها في الدنيا، وبعد محاسبة إجمالية يُحكم عليه بحياة حلوة هنيئة أو مرة قاسية، ويعيش تلك الحياة منتظراً يوم البعث العام (الطباطبائي، ١٣٧٨، ص ١٦٢-١٦٣).

ويشبه العلامة الطباطبائي حال الإنسان في عالم البرزخ بحال من يُستدعى إلى جهة قضائية للتحقيق في أعماله، فيستجوب ويُستفسر حتى يُكمل ملفه، ثم ينتظر المحاكمة في الحبس الاحتياطي (الطباطبائي، ١٣٧٨، ص ١٦٣). وتعيش روح الإنسان في البرزخ بالصورة التي كانت عليها في الدنيا؛ فإن كان من الأخيار تمتع بالسعادة والنعيم وجوار الطاهرين

والمقرين من الله، وإن كان من الأشرار عاش في النعمة والعذاب ومصاحبة الشياطين: وأئمة الضلال (الطباطبائي، ١٣٧٨، ص ١٦٣).

وقد قال الله تعالى في وصف حال جماعة من أهل السعادة: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (آل عمران، ١٦٩)، حيث يدل على أن الشهداء أحياء في عالم البرزخ ويتمتعون بنعم الله.

٢-٣. عالم المثال والمعاد الجسماني

يستفيد العلامة الطباطبائي في بيان المعاد الجسماني من نظرية الحركة الجوهرية وعالم المثال. ويستتج من آيات القرآن أن الأبدان في تغيير وتحول دائمين، وتنقل من حال إلى حال حتى تأتي لحظة القيامة فتلحق تلك الأبدان بنفوسها. ومن وجهة نظره، البدن شأن من شؤون النفس، ولا ثنائية بين النفس والبدن (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ١١٩).

وفي هذه الرؤية، ليس البدن الأخروي عين البدن الدنيوي ولا مثله صرفاً؛ بل من جهة أنه يحمل جميع الخصائص الظاهرة للبدن الدنيوي يمكن اعتباره عينه، ومن جهة أن مواده غير مواد البدن الدنيوي يمكن اعتباره مثله (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٧). وبعبارة أخرى، الإنسان صاحب البدن الأخروي بالقياس إلى صاحب البدن الدنيوي عين لا مثل؛ لأن شخصية الإنسان وهويته ترجع إلى نفسه، وهي واحدة في شأني الدنيا والآخرة (الطباطبائي، ١٣٧١، ج ٢، ص ١١٤).

ولا يعتبر العلامة الطباطبائي المعاد عودة الأرواح إلى الأبدان، بل يرى أن الأبدان هي التي تلحق بالأرواح (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ١١٩). وبعبارة أخرى، من وجهة نظره، عالم المثال هو ظرف تحقق المعاد الجسماني، ويحشر الإنسان في القيامة ببدن مثالي هو عين شخصيته وهويته الدنيوية. وهذا النظر يتوافق مع ظاهر آيات القرآن التي تؤكد على المعاد الجسماني، ومع المبادئ العقلية التي تواجه تحديات في إعادة المعلوم المحض.

٣. عالم المثال والمعاد الجسماني في رؤية المذاهب الكلامية

٣-١. الإمامية (الشيعة الاثنا عشرية)

تتبع الإمامية في مباحثها الاعتقادية، خاصة في مسألة المعاد، منهجاً يجمع بين النقل والعقل. ورغم أن نظرية عالم المثال لم تُطرح في كلام الإمامية بشكل فلسفي منهجي، إلا أن روايات متعددة عن الأئمة المعصومين (ع) تشير بشكل ما إلى عالم المثال والبدن المثالي.

يقول العلامة المجلسي، أحد أكبر محدثي الشيعة، في هذا الصدد: تبقى روح الإنسان بعد الموت؛ ثم تتعلق الروح بجسد مثالي لطيف يشبه الأبدان الأصلية؛ فيكون تتعم الروح وعذابها في هذا البدن المثالي (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٦، ص ٢٧٠-٢٧١). ويستند أيضاً إلى رواية عن الإمام السجاد (ع) أجاب فيها منجماً: «أريك رجالاً مَرَّ منذ يوم دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟ وهل يمكن العبور من أربعة آلاف عالم بهذا البدن المادي؟ كلا، إذن هناك بدن آخر غير هذا البدن» (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٥٧، ص ٣٣٢).

ويستدل العلامة المجلسي أيضاً بتعلّق الأرواح بالأجسام والأجساد المثالية في حال النوم، ويرى أن الأرواح بانضمامها إلى الأبدان حين يَنَلُّ تعلّقها بالأبدان الأصلية في النوم تستطيع السير في عوالم الملك والملوكوت (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٥٧، ص ٣٥٤-٣٥٥).

وفيما يتعلّق بالبرزخ، تؤمن الإمامية استناداً إلى الآيات والروايات بعذاب القبر وثوابه، وقد رُوي عن الإمام الصادق (ع): القبر هو البرزخ، وهو محل الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٦، ص ٢١٨). ويقول العلامة المجلسي في «حق اليقين»: ضغط القبر وثوابه وعقابه مما أجمع عليه جميع المسلمين (دستغيب، ١٣٧٤، ج ١، ص ٢٩). وفي المعاد، تؤمن الإمامية بالمعاد الجسماني-الروحاني معاً. ويعتبر العلامة المجلسي المعاد الجسماني عودة هذه الأبدان وتعلّق الأرواح بها من جديد (المجلسي، د.ت، ص ٣٦٩). ويقول الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في البعث بعد الموت أنه حق» (الصدوق، ١٤١٤ق، ص ٦٦). ويقول الشيخ المفيد: «كل من اتصف بالحياة يُعاد بعد الموت» (المفيد، ١٤١٣ق، ص ٤٦). والعلامة الطباطبائي نفسه، وهو من أكبر مفكري الإمامية، يؤمن صراحة بعالم المثال ويستفيد منه في بيان المعاد الجسماني (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). فمن وجهة نظره، يتحقّق المعاد الجسماني بالبدن المثالي وفي إطار الحركة الجوهرية، وهذا متوافق مع آيات القرآن والروايات.

وفي سؤال القبر، وهو من مسائل البرزخ المهمة، تؤمن الإمامية به. وقد رُوي عن الإمام الصادق (ع): من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: معراج النبي، وسؤال القبر، والشفاعة (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٦، ص ٢٢٣). ورُوي عن الإمام علي (ع): إذا دخل العبد القبر أتاه ملكان اسمهما نكير ومنكر (المجلسي، ١٤٠٤ق، ج ٦، ص ٢٢٣).

٣-٢. الإسماعيلية

تبنّى الإسماعيلية بمنهجها الباطني نظرة مختلفة إلى المعاد وعالم المثال. فمن وجهة نظرهم، ليس المعاد حشراً جسمانياً بالبدن العنصري، بل هو معاد روحاني محض. وفي هذه الرؤية، ما يُحشر في القيامة هو نفس الإنسان وروحه، لا بدنه المادي.

ويرى الإسماعيليون أن النفس لا تقوم بالفعل، بل يجب أن تمرّ بمراحل عدة حتى تنتقل من القوة إلى الفعلية والكمال (الكرماني، ١٩٨٣م، ص ٥٠٣-٥٠٩). فالنفس عندما تدخل ساحة الوجود وتنتقل من العدم إلى الوجود، هذا هو الانبعث الأول. وعندما تكتسب النفس الكمال وتنتقل من ساحة القوة إلى الفعلية، لا تعود بحاجة إلى البدن، وفي يوم الحشر تُحشر النفس أو الروح فقط (نفس المصدر، ص ٥٠٣-٥٠٩).

وبعبارة أخرى، في رؤية الإسماعيلية، ما يهتم في المعاد هو تكامل النفس، والبدن مجرد أداة لهذا التكامل. وبعد الموت وانفصال النفس عن البدن، تواصل النفس سيرها التكاملي، وفي القيامة تُحشر النفس المتكاملة لا البدن. ويقول حميد الدين الكرماني في هذا الصدد: «النفس عندما تكتسب الكمال وتنتقل من ساحة القوة إلى الفعلية لا تعود بحاجة إلى البدن، وفي يوم الحشر تُحشر النفس أو الروح فقط» (الكرماني، ١٩٨٣م، ص ٥٠٣-٥٠٩).

وفيما يتعلق بعالم المثال، للإسماعيلية موقف خاص. فهم يؤولون الآيات والروايات التي تشير إلى المعاد الجسماني ويحملونها على الأمور الروحانية والباطنية. فمن وجهة نظرهم، عالم المثال هو العالم الذي تواصل فيه النفس سيرها التكاملي، ويتحقق الثواب والعقاب في هذا العالم بالنفس (لا بالبدن).

وقد استند الإسماعيليون لنفي المعاد الجسماني إلى شبهات مثل: كبر جسم المعاد (قبادياني، ١٣٨٤ ش، ص ٢٣)، ونقص مواد الأرض (السجستاني، ٢٠٠٠ م، ص ٣٨٩)، وروحانية الثواب والعقاب (نفس المصدر، ص ٣٨٧)، واستتجوا أن البعث للأرواح لا للأبدان. فإذا كان الثواب أزلماً، وجب أن يكون المثاب أزلماً وهو روح الإنسان من سنخ معدن العلم؛ فلا حاجة إلى البدن. وفي الواقع، بنفي المعاد الجسماني بالبدن العنصري والتأكيد على المعاد الروحاني، لا تقبل الإسماعيلية عملياً عالم المثال ظرفاً لتحقيق المعاد، وتؤوله إلى السير التكاملي للنفس في العالم الروحاني.

٣-٣. الأشاعرة

الأشاعرة، بوصفهم أحد أهم المذاهب الكلامية في أهل السنة، يتبنون موقفاً مختلفاً من المعاد الجسماني. فمن وجهة نظرهم، يتحقق المعاد الجسماني بهذا البدن الدنيوي وبإعادة المعلوم، ولا حاجة إلى نظرية عالم المثال لبيانها. يقول التفتازاني، من كبار الأشاعرة، في هذا الصدد: البعث هو أن يعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها (التفتازاني، ١٤٢٨ هـ ص ١٣٠). أي أن البعث هو إحياء الموتى من القبور بجمع الأجزاء الأصلية للبدن وإعادة الأرواح إليها. فمن وجهة نظره، الله بقدرته المطلقة قادر على جمع الأجزاء المشترقة للبدن وإعادة الروح إليها. ويقول سيف الدين الأمدي، من متكلمي الأشاعرة الآخرين: مذهب أهل الحق من الإسلاميين أن إعادة كل حادث بعد حلوله إذا عُدَّ جائزة عقلاً ونقلًا... ولا فرق في إعادة هذا الحادث بين الجوهر والعرض (الأمدي، ٢٠٠٩ م، ص ٢٨٥-٢٨٦). ولذلك، يعتمد الأشاعرة على قاعدة «إعادة المعلوم» في إثبات إمكان المعاد الجسماني وتحقيقه، ولا يرون حاجة إلى نظرية عالم المثال لبيانها.

ومع ذلك، اقترب بعض متكلمي الأشاعرة كالغزالي من عالم المثال بشكل ما. فالغزالي، وهو من أبرز مفكري الأشاعرة، يؤمن في بعض آثاره بالمعاد الجسماني-الروحاني معاً، ويتوافق في هذه الرؤية مع الإمامية (اللقاني، ١٤٣٠ هـ ج ٢، ص ١٠١٥-١٠١٦). لكن بشكل عام، يبين الأشاعرة المعاد الجسماني اعتماداً على القدرة الإلهية المطلقة بإعادة المعلوم دون حاجة إلى نظرية عالم المثال، ويعتبرون البدن الأخروي عين البدن الدنيوي.

وفيما يتعلق بالبرزخ وعذاب القبر، يؤمن الأشاعرة به ويعدونه من مسائل الدين المسلمة. ومع ذلك، يعتمد بيانهم لكيفية عذاب القبر على إعادة المعلوم، ولا يرون حاجة إلى بدن مثالي في هذا البيان.

٤. التحليل المقارن ووجوه الاشتراك والافتراق

٤-١. الاشتراكات

بناءً على ما استُخرج، توجد الاشتراكات التالية بين رؤية العلامة الطباطبائي والمذاهب الكلامية في عالم المثال والمعاد الجسماني:

١. **الاعتقاد بالمعاد:** تؤمن المذاهب الثلاثة والعلامة الطباطبائي بالمعاد. وفي ماهية المعاد ثلاث آراء: الرأي الأول للإسماعيلية القائلين بحشر الروح، والرأي الثاني للمعتزلة القائلين بأن ماهية المعاد هي جمع الأجزاء المتفرقة للأبدان بعد تفرقها، والرأي الثالث لستة مذاهب (الإمامية والزيدية والأشاعرة وأهل الحديث والماتريدية والإباضية) القائلين بأن ماهية المعاد هي إيجاد الأبدان من العدم. ولذلك، تؤمن الإمامية والأشاعرة والعلامة الطباطبائي بالمعاد الجسماني، وإن اختلفوا في كلفيته.

٢. **الاعتقاد بالحياة البرزخية:** تؤمن المذاهب الثلاثة والعلامة الطباطبائي بالحياة البرزخية وعذاب القبر وثوابه. وقد فصل العلامة الطباطبائي في «الشيعية في الإسلام» الكلام عن الحياة البرزخية فقال: «وفقاً لما يُستفاد من الكتاب والسنة، يتمتع الإنسان في الفترة بين الموت والبعث العام بحياة مؤقتة محدودة هي البرزخ والوسيط بين حياة الدنيا وحياة الآخرة... وروح الإنسان في البرزخ تعيش بالصورة التي كانت عليها في الدنيا...» (الطباطبائي، ١٣٧٨، ص ١٦٢-١٦٣).

٣. **الاعتقاد بسؤال القبر:** تؤمن المذاهب الثلاثة والعلامة الطباطبائي بسؤال القبر من نكير ومنكر. ويقول العلامة الطباطبائي في تفسير آية ٩٧ من سورة النساء: تدل هذه الآية على ما سُمّي في الأخبار بسؤال القبر، وهو السؤال عن دين الأموات واعتقادهم (الطباطبائي، ١٣٧١، ج ٥، ص ٤٩). وقد نقل العلامة المجلسي روايات متعددة في هذا الصدد (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٦، ص ٢٢٣، ٢٣٣).

٤. **القبر هو البرزخ:** تؤمن المذاهب الثلاثة والعلامة الطباطبائي بأن القبر هو البرزخ. ويستند العلامة المجلسي إلى رواية عن الإمام السجاد (ع): والله إن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٦، ص ٢١٨).

٥. **أهمية العقل والنقل:** يستفيد المذاهب الثلاثة والعلامة الطباطبائي في بيان المعاد من العقل والنقل، وإن اختلفت درجة الاستفادة من كل منهما. فالعلامة الطباطبائي بمنهج الفلسفي يعتمد على البراهين العقلية (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤)، بينما يعتمد العلامة المجلسي بمنهج التقليدي على الروايات (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٦، ص ١١٦-١١٧).

٤-٢. الافتراقات

رغم الاشتراكات الكثيرة، توجد اختلافات جوهرية في مواقف هؤلاء المفكرين:

١. **دور عالم المثل في بيان المعاد:** أبرز الاختلاف يكمن في دور عالم المثل. فالعلامة الطباطبائي معتمداً على الفلسفة يُعرّف عالم المثل ظرفاً لتحقيق المعاد الجسماني ويقول: عالم المثل بمثابة برزخ بين العقل المجرد والموجودات المادية (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). والإمامية تقبل عالم المثل بشكل ماعبر الروايات (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٥٧، ص ٣٥٤-٣٥٥). أما الأشاعرة فاعتماداً على إعادة المعلوم لا يرون حاجة إلى عالم المثل (التفتازاني، ١٤٢٨ هـ ص ١٣٠). والإسماعيلية بمنهجها الباطني تعتبر المعاد روحانياً محضاً وتفسر عالم المثل تفسيراً مختلفاً (الكرماني، ١٩٨٣، ص ٥٠٣-٥٠٩).

٢. **كيفية المعاد الجسماني:** يبين العلامة الطباطبائي المعاد الجسماني بالبدن المثالي وفي إطار الحركة الجوهرية (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ١١٩-١٢٠). وتؤمن الإمامية بالمعاد الجسماني-الروحاني معاً (المجلسي، دت، ص ٣٦٩). أما الأشاعرة فيستون المعاد بإعادة المعلوم وعينية البدن الأخروي مع البدن الدنيوي (الآمدي، ٢٠٠٩، ص ٢٨٥-٢٨٦). والإسماعيلية تعتبر المعاد روحانياً صرفاً وتشكر المعاد الجسماني (السجستاني، ١٩٦٥، صص ١٦٥-١٦٦).

٣. **منهج الإثبات:** يعتمد العلامة الطباطبائي المنهج الفلسفي-العقلي (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). وتستخدم الإمامية منهجاً يجمع بين النقل والعقل. ويعتمد الأشاعرة على القدرة الإلهية المطلقة وإعادة المعلوم (الآمدي، ٢٠٠٩، ص ٢٨٥-٢٨٦). وتتبع الإسماعيلية منهجاً باطنياً تأويلياً (الكرماني، ١٩٨٣، ص ٥٠٣-٥٠٩). والعلامة المجلسي ممثلاً للتيار النقلي في الإمامية يثبت عذاب القبر بالأخبار والروايات ويقول: «دليله ليس عقلياً» (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٦، ص ١١٦-١١٧).

٤. **النظرة إلى البدن الأخروي:** يعتبر العلامة الطباطبائي البدن الأخروي شيئاً بين العين والمثل (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ١١٩). ويعتبره الأشاعرة عين البدن الدنيوي (الآمدي، ٢٠٠٩، ص ٢٨٥-٢٨٦). وتشكره الإسماعيلية أصلاً (السجستاني، ١٩٦٥، صص ١٦٥-١٦٦). وفي هذا السياق، رؤية العلامة الطباطبائي بالجمع بين العينية والمثلية تتوافق مع ظاهر الآيات التي تؤكد العينية، ومع المبادئ الفلسفية التي تواجه تحديات في إعادة المعلوم المحض.

٥. **عالم المثل في النظرة الفلسفية والنقلية:** يعتبر العلامة الطباطبائي بمنهجه الفلسفي البرزخ عالم المثل وظرف تجلّي الأعمال، بينما يعتبره العلامة المجلسي بمنهجه النقلي عالم القبر ومحل السؤال والعذاب (المجلسي، ١٤٠٤، ج ٦، ص ٢٧٠-٢٧١). وهذان المنهجان ليسا في تعارض، بل هما متكاملان، ويقدم كل منهما معرفة أشمل بعالم البرزخ والحياة بعد الموت.

الخاتمة

تُظهر الدراسة المقارنة لدور عالم المثل في بيان البرزخ والمعاد الجسماني من وجهة نظر العلامة الطباطبائي والمذاهب الكلامية (الإمامية والإسماعيلية والأشاعرة) أن قبول عالم المثل أو رفضه يؤثر تأثيراً مباشراً في كيفية بيان المعاد الجسماني والحياة البرزخية.

العلامة الطباطبائي، معتمداً على أسس الحكمة المتعالية ونظرية الحركة الجوهرية، يُعرّف عالم المثال أمراً مسلماً قطعياً ووسيطاً بين عالم العقل وعالم المادة. ومن وجهة نظره، البرزخ عين عالم المثال، ويتحقق المعاد الجسماني بالبدن المثالي. ويقدم هذا المنهج بياناً فلسفياً متماسكاً لكيفية المعاد الجسماني يتوافق مع الآيات والروايات ومع المبادئ العقلية. وقد استطاع بيانه البدن الآخروي شيئاً بين العين والمثل أن يجمع بين ظاهر الآيات التي تؤكد العينية والمبادئ العقلية التي تواجه تحديات في إعادة المعلوم المحض.

والإمامية بمنهجها الجامع بين النقل والعقل، وإن لم تطرح نظرية عالم المثال بشكل فلسفي منهجي، إلا أنها قبلتها بشكل ما عبر روايات متعددة تشير إلى البدن المثالي وعالم المثال. وفي هذه الرؤية، يتحقق المعاد الجسماني -الروحاني معاً وبالبدن المثالي. وقد أثبت العلامة المجلسي ممثلاً للتيار الروائي في الإمامية، استناداً إلى روايات الأئمة المعصومين (ع)، البدن المثالي وعالم المثال وجعله أساساً لبيان العذاب والثواب البرزخي. كما قدم العلامة الطباطبائي ممثلاً للتيار الفلسفي في الإمامية البيان العقلي لهذه التعاليم.

أما الأشاعرة فاعتمدوا على القدرة الإلهية المطلقة وقاعدة إعادة المعلوم، يبنون المعاد الجسماني بعينة البدن الآخروي مع البدن الدنيوي، ولا يرون حاجة إلى نظرية عالم المثال. وهذا المنهج، وإن كان بسيطاً ومعتمداً على ظواهر النقل، يواجه تحديات فلسفية في بيان كيفية إعادة المعلوم والحفاظ على الهوية الشخصية للإنسان بعد إعادة المعلوم. والإسماعيلية بمنهجها الباطني تعتبر المعاد روحانياً صرفاً وتكر المعاد الجسماني. وفي هذه الرؤية، يُؤوّل عالم المثال إلى السير التكاملي للنفس في العالم الروحاني، ولا دور له في بيان المعاد الجسماني. وهذا المنهج، وإن تجنّب بعض التحديات الفلسفية للمعاد الجسماني، يتعارض مع ظواهر الآيات والروايات التي تؤكد المعاد الجسماني، ولا يستطيع الإجابة عن كثرة الآيات والروايات التي تتحدث صراحة عن المعاد الجسماني.

وكما يقول العلامة الطباطبائي: «يتضح حال الإنسان في انتقاله من هذا العالم إلى عالم ما بعد الموت بقبول عالم المثال» (الطباطبائي، ١٣٨٨، ص ٨٤). ويمكن القول إجمالاً إن نظرية عالم المثال في الحكمة المتعالية، وخاصة في رؤية العلامة الطباطبائي، تقدم أشمل بيان وأكثره استدلالية عن البرزخ والمعاد الجسماني. فهذه النظرية، مع الحفاظ على ظواهر الآيات والروايات في المعاد الجسماني واستخدام المبادئ العقلية، تقدم بياناً متماسكاً قابلاً للدفاع عن كيفية تحقق المعاد الجسماني والحياة البرزخية.

وكما جاء في القرآن الكريم: «وَمَنْ وَرَّاهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (المؤمنون، ١٠٠)، فعالم البرزخ حقيقة يشهد عليها العقل والنقل، والإيمان به من لوازم الإيمان بالمعاد ويوم الجزاء. ولذلك، يجب أن يتوافق أي بيان للمعاد الجسماني مع الآيات والروايات ومع المبادئ العقلية، ونظرية عالم المثال في رؤية العلامة الطباطبائي تقدم أفضل بيان في هذا المجال.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، (٢٠٠٩م/١٤٣٠هـ)، غاية المرام في علم الكلام، (ط١)، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (٢٠٠٧م/١٤٢٨هـ)، شرح العقائد النسفية، (ط١)، بيروت: دار الهادي. دار المشرق، (١٩٨٦م)، المنجد في الأعلام، بيروت: دار المشرق.

دستغيب، عبد الحسين، (١٣٧٤هـ ش)، معاد، قم: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

السجستاني، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد، (١٩٦٥م)، الينابيع، (ط١)، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

السجستاني، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد، (٢٠٠٠م)، كتاب الافتخار، (ط١)، تصحيح إسماعيل قربان حسين، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي، (١٤١٤هـ)، الاعتقادات، قم: مؤسسة البعثة.

الطباطبائي، محمد حسين، (١٣٧١هـ ش)، الميزان في تفسير القرآن، قم: دفتر انتشارات إسلامي.

الطباطبائي، محمد حسين، (١٣٧٨هـ ش)، الشيعة في الإسلام، (ط٣)، قم: دفتر انتشارات إسلامي.

الطباطبائي، محمد حسين، (١٣٨٨هـ ش)، الإنسان من بدء إلى معاد، (ترجمة وتعليقات صادق لاريجاني، ط٢)، قم: بوستان كتاب.

الكرماني، أحمد حميد الدين، (١٩٨٣م)، راحة العقل، (ط٢)، بيروت: دار الأندلس.

اللقاني المالكي، برهان الدين إبراهيم، (١٤٣٠هـ)، هداية المريد لجوهرة التوحيد، (ط١)، القاهرة: دار البصائر.

المجلسي، محمد باقر، (د.ت)، حق اليقين، طهران: انتشارات قائم.

المجلسي، محمد باقر، (١٤٠٤هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، طهران: دار الكتب الإسلامية.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، (١٤١٣هـ)، النكت الاعتقادية، (ط١)، قم: المؤتمر العالمي للشيخ المفيد.

قبادياني، ناصر خسرو، (١٣٨٤هـ ش)، خوان الإخوان، (ط١)، طهران: انتشارات أساطير.